مجلة الدراسات التاريخية

مجلد 24 العدد 01 السنة 2024 ص ص504/487

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

مفهوم "الكسـب"

عند سيدي قدور بن سليمان المستغانمي الجزائري

(المتوفي سنة 1322هـ - 1904م)

من خـلال مخطـوط

"دُرَرْ الفَيْضْ اللَّدُنِي فِيمَا يَتَعَلقُ بالكَسْبْ العَيَانِي وَالسُنِي"

Title in English

The Concept of - khasb- at Si Kaddour ben Suleiman Al Mesteghanemi

(died in the year 1322 AH - 1904 AD)

through the manuscript

"the pearls of divine sciences with regard to the - khasb- ocular"

الاسم الكامل للباحث: د. فرعون حمو، أستاذ محاضر (أ)

مؤسسة الانتماء (الدولة): جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم (الجزائر).

إيميل الباحث:hamoufiras@gmail.com

تاريخ الاستلام: 30 / 11/ 22 تاريخ القبول: 20 / 01/ 24

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

Abstract:

This article is a summary extractive reading of the contents of the manuscript "The pearls of divine sciences wi th regard to the -khasb- ocular" of Sidi Qadour bin Suleiman Al-Mustaghanemi (died 1322 AH - 1904 AD), which is not from a theological point of view but from a Gnostic mystical point of view.And if the subject of -khasb- has been consumed by research and accomplishment, excavation, study and discussion in the doctrinal history of Islam, especially in the lectures, debates and blogs of the doctrine of the Sunnis, Especially in the accounts of the Ash'ari school and in its verbal reports, but the intimacy of the manuscript "The pearls of divine sciences wi th regard to the - khasb- ocular"of Sidi Kaddour bin Suleiman Al - Mostaghanemi Al-Jazaery, who he raised the question of -khasb- in a new way through the Sufi paradigm and from the point of view of the mystical vision of God, existence and man.

Keywords: *Sidi Kaddour ben Suleiman Al Mesteghanemi; khasb; divine sciences; soufism.*

المؤلف المرسل: فرعون حمو
البريد الالكتروني: hamoufiras@gmail.com

الملخص

هذا المقال هو قراءة تلخيصية في محتوى ومضمون مخطوط"دُرَرْ الفَيْضْ اللَّدُنِي فِيمَا يَتَعَلقُ بالكَسْبْ العَيَانِي وَالسُنِي" لسيدي قدور بن سليمان المستغانمي الجزائري

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

(المتوفي سنة 1322هـ - 1904م)، الذي يتمحور حول بحث موضوع "الكسب"، وإنْ كانَ موضوع الكسب قد أُستهلكَ بَحثاً وَوُفِيَّ تنقيباً ودِراسةً ومُناقشةً في تاريخ الاسلام العقائدي، خاصة في محاضرات ومناظرات ومدونات مذهب أهل السنة والجماعة لاسيما في سرديات المذهب الأشعري وفي تقريراته الكلامية، لكن خصوصية رسالة "دُرَرْ الفَيْضْ اللَّدُنِي فِيمَا يَتَعَلقُ بالكَسْبْ العَيَانِي وَالسُنِي" لسيدي قدور بن سليمان المستغانمي الجزائري أنها طرحت قضية الكسب طرحا جديدا من خلال البراديغيم الصوفي، ومِنْ منظور الرؤية العرفانية لله وللوجود وللإنسان.

الكلمات المفتاحية: سيدي قدور بن سليمان المستغانمي، الكسب، العلم اللدني ،التصوف.

محاور المقال:

1- توطئة
2- خلاصة معنى" الكسب" عند السادة الأشاعرة.
3- ترجمة سيدي قدور بن سليمان المستغانمي:
4- إطلالة على مخطوط "دُرَرْ الفَيْضْ اللَّدُنِي فِيمَا يَتَعَلقُ بالكَسْبْ العَيَانِي وَالسُنِي:"
5- مفهوم "الكسب" عند سيدي قدور بن سليمان المستغانمي:
6- خاتمة

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

1- توطئــة:

الظاهر أنَّ موضوع "الكسب" كان هاجساً كبيرًا لدى علماء مدينة مستغانم (الجزائر)، بدليل أنَّ ثلاثة من كبار علماء وأولياء وصوفية هذه المدينة قد أفردوه بالبحث والدراسة والكتابة، فلقد كَتَبَ سيدي قدور بن سليمان المستغانمي (المتوفي سنة 1322هـ - 1904م) رسالة "دُرَرْ الفَيْضْ اللَّدُنِي فِيمَا يَتَعَلقُ بالكَسْبْ العَيَانِي وَالسُنِي"، وكَتَبَ أيضا القاضي والفقيه عبد الله حشلاف التيجاني المستغانمي (المتوفى1873م-1937م) كتابا بعنوان" أسرار الوهاب في حقيقة الكسب والإكتساب"، كما كَتَبَ بَعدهُما العارف بالله سيدي محمد بن سليمان المستغانمي الندرومي (المتوفى سنة1346هـ -1927م) رسالة"في الكسب المنسوب إلى العبد وما يتعلّق به، فهي جواب للقاضي حشلاف".

وإنْ كانَ موضوع الكسب قد أُستهلكَ بَحثاً وَوُفِيَّ تنقيباً ودِراسةً ومُناقشةً في تاريخ الاسلام العقائدي، خاصة في محاضرات ومناظرات ومدونات مذهب أهل السنة والجماعة لاسيما في سرديات المذهب الأشعري وفي تقريراته الكلامية، لكن خصوصية رسالة "دُرَرْ الفَيْضْ اللَّدُنِي فِيمَا يَتَعَلقُ بالكَسْبْ العَيَانِي وَالسُنِي" لسيدي قدور بن سليمان المستغانمي الجزائري أنها طرحت قضية الكسب طرحا جديدا من خلال البراديغيم الصوفي، ومِنْ منظور الرؤية العرفانية لله وللوجود وللإنسان.

2- خلاصة معنى" الكسب" عند السادة الأشاعرة.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

"الكسب" مفهومٌ محوريٌ في أدبيات علم الكلام الإسلامي خاصة في المذهب الأشعري، ولفظ الكسب مذكور في القران الكريم57 مرة، مثل قوله تعالى" وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ "(الشورى الآية 30)، وفي تعريف مصطلح الكسب نقل ابن القيم الجوزية أن الإمام أبو الحسن الأشعري" قال في عامة كتبه: معنى الكَسْبُ: أن يكون الفعل بقدرة مُحدَثة، فمن وقع منه الفعل بقدرة قديمة فهو فاعل خالق، ومن وقع منه بقدرة مُحدَثة فهو مُكتسِب" (ابن قيم الجوزية،شفاء العليل، 1441هـ،2019م)، وفي التحديد اللغوي والمفاهيمي يقول أحد أقطاب السادة الأشاعرة الامام القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (المتوفى: 403 هـ): "وقد يُوصفُ هذا الضرب من العلوم بأنه كَسبيٌ، كما يُوصف بأنه نظري، ومعنى وصفه ووصف غيره من أجناس مقدورات العباد بأنه كسبٌ عند المتكلمين من أهل الحق ومخالفي القدرية ، إنه ما وجد بالموصوف به، وله عليه قدرة محدثة، وبذلك انفصل معنى الكسب من معنى الإبداع والإنشاء والخلق الذي ينفرد الله تعالى بالوصف به والقدرة عليه دون خلقه، وأما معنى وصفه بأنه كسب في وضع اللغة فهو إنه مما يجتلب المكتسب له به نفعا ويدفع به ضررا، ولذلك يقولون في الجوارح المعلمة أنها كواسب لحصول الانتفاع بصيدها" (أبو بكر الباقلاني،التقريب والارشاد، 1418هـ - 1998م)، وعند الشيخ الطاهر بن عاشور" تَحْقِيق مَعْنَى الْكَسْبِ الَّذِي وُفِّقَ إِلَى بَيَانِهِ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ وَهُوَ الْمَيْلُ وَالْمَحَبَّةُ لِلْفِعْلِ أَو التّرْك" (الطاهر بن عاشور،التحرير والتنوير، 1984م)، وخلاصة تعريف الكسب عند

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

السادة الأشاعرة هو كما العلامة الإمام أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي التلمساني الجزائري:" الكسبُ مقارنة القدرة الحادثة للفعل من غير تأثير" (الامام السنوسي،أم البراهين، 2009م)

3- ترجمة سيدي قدورين سليمان المستغانمي الجزائري:

ذَكَرَ المؤرخُ أبو القاسم سعد الله في موسوعته تاريخ الجزائر الثقافي سيدي قدور بن سليمان 14مرة (أبو القاسم سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي، 1998م)، وأوردَ هُناكَ أنَّ سيدي قدور بن سليمان المستغانمي كان من تلامذة سيدي محمد الموسوم شيخ زاوية قصر البخاري(1820م-1883م)، وأن سيدي قدور" كان يُشبه الموسوم في الجمع بين العلم والتصوف" (سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 1998م)، وترجم سعد الله لسيدي قدور بن سليمان فقال:"هو من علماء ومتصوفة مستغانم، نشأ بها وأخذ بها العلم والتصوف، ومن شيوخه في الناحية أيضا محمد الموسوم في الطريقة الشاذلية، كما أنه أخذ الطريقة التجانية عن أحمد التجاني (شيخ عين ماضي)، وكانت لقدور بن محمد زاوية بمستغانم، وقد وجدنا في مخطوط بالمغرب أن قدور بن سليمان كان قد هاجر إلى الحجاز، ومن هناك كان يراسل علماء الجزائر، ومنهم القاضي شعيب الجليلي، ولكن صاحب تعريف الخلف قد تلقى معلوماته عنه من الشيخ عبد القادر بن قارا مصطفى، مفتي مستغانم سنة1906م، وقد نفهم من

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

ذلك أن الشيخ قدور بن محمد رَجعَ إلى الجزائر من الحجاز، وتوفي بمستغانم، كما جاء في تعريف الخلف" (سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 1998م).

وبتفصيل أكثر ذَكَرَ مفتى المالكية في الديار الجزائرية المؤرخ أبو القاسم محمد الحفناوي(**1269**هـ-**1360**هـ،1852م-1943م) في كتابه" تعريف الخلف برجال السلف" ترجمة وافية لسيدي قدور بن سليمان استقاها مباشرة من الشيخ عبد القادر بن قارة مصطفى (الشيخ عبد القادر بن قارة مصطفى هو خال سيدي قدور بن سليمان) فقال عنه: " إمامُ أهل العرفان حائز قصبَ السبق في ميدان الشهود والعيان، الدالُ على الله بالله على منوال رسول الله صلى الله عليه وسلم واله في السر والاعلان، العارفُ الأكبر والغوثُ الأشهر، أستاذنا ومولانا قدور بن محمد بن سليمان، كان رحمه الله ورضي عنه من أشرفتْ بدايته، وركبَ مطية العزم والصدق في توجيه إلى الله، فأثمر له ذلك بفضل الله شروق النهاية، وبلوغ المقام الأسنى الذي لا غاية لمرامه...ولهُ رضيَ اللهُ عنهُ تآليفٌ مفيدةٌ رائقةٌ، محتوية على أفانين من علوم القوم رضي الله عنهم فائقة، فمنها شرحه على صلاته المسماة بـ" ياقوتة الصفا في حقائق المصطفى صلى الله عليه وعلى أله وسلم" ومنها كتاب" جلاء الران و تنوير الجنان فيما أشكل من طرف الميراث على الإخوان" ومنها "لوامع أنوار اليقين بل السيف المنير في قطع ألسنة من نقص الأئمة المجتهدين" ومنها "درر الفيض اللدني فيما يتعلق بالكسب العياني والسني"، ومنها إلى ما يزيد على العشرين تأليفا...توفي رحمه الله ورضي عنه، وطيب ثراه، وأنالنا والأحبة بركته ورضاه، يوم الثلاثاء ثالث

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

عشر شهر الله المحرم من سنة1322هـ، ودفن في زوايته وسنة إذ ذاك نيف وستون" (الحفناوي،تعريف الخلف برجال السلف، 1324هـ 1906م)، ودُفن صباح الغد الأربعاء كما أورد ذلك تلميذ سيدي قدور بن سليمان الشيخ بن عبد الله البوعبدلي في رسالة بخط يده.

4- إطلالة على مخطوط "دُرَرْ الفَيْضْ اللَّدُنِي فِيمَا يَتَعَلقُ بالكَسْبْ العَيَانِي وَالسُنِي":

النسخة الوحيدة التي اعتمدناها من مخطوط "دُرَرْ الفَيْضْ اللَّدُنِي فِيمَا يَتَعَلقُ بالكَسْبْ العَيَانِي وَالسُنِي" هي تلك التي نَسَخَها بيده الشيخ عبد القادر المدعو أبو عبد الله شراك بن الحاج عابد بن الحاج عدة بن الحاج عبد القادر بن عدة المعروف بقرية جديوية ولاية غليزان الجزائر، والامام بمسجد الشريفية بمدينة وهران، بتاريخ يوم السبت7رجب عام 1423هجرية الموافق13سبتمبر2002م، عن النسخة الأصلية الأم الموجودة عنده في خزانته بخط المؤلف.

وعدد أوراق هذه النسخة 11 ورقة مكتوبة على الصفحتين باللون الأسود، وكُتبت بالخط المغربي من نوع "المبسوط"، وبدون فهرسة للمواضيع، لكن بتسلسل موضوعاتي تدرجي واضح.

وفي مضمون مخطوط" دُرَرْ الفَيْضْ اللَّدُنِي فِيمَا يَتَعَلقُ بالكَسْبْ العَيَانِي وَالسُنِي" استشهد سيدي قدور بن سليمان المستغانمي بحوالي 23 عالم وفقيه وولي

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

من الأولياء، مما يؤشر على علو كعبه وعلى رسوخه في التصوف والعلم والفقه، ومن العلماء الذين استشهد بهم سيدي قدور:

1. مولاي الطيب الوزاني، 2- أبو المواهب التونسي، 3- ابن عطاء الله السكندري، 4- الامام البوصيري صاحب الهمزية، 5- الشيخ القشاشي، 6- الامام التفتزاني، 7- الامام ابو الحسن الأشعري،8- سيدي الملا ابراهيم العجمي ،9- مولاي العربي بن أحمد ،10- القاضي عياض صاحب الشفاء،11-الشيخ عبد الكريم الجيلي ،12- الشيخ مسكين صاحب شرح المنن،13- سيدي عبد الله الغريسي، 14- الشيخ زين الدين ابن نجيم الحنفي صاحب كتاب البحر الرائق شرح كنز الدقائق، 15- الامام عبد الوهاب الشعراني،16- أبو الحسن علي بن القاسم بن باديس رحمه الله، (701هـ -787هـ)- (1320م- 1385م) أحد علماء القرن الثامن الهجري صاحب قصيدة السينية وعددها ثلاثة وتسعون بيتا، 17- سيدي أحمد التجاني،18- مولاي العربي الدرقاوي، 19- الشيخ سيدي محمد الموسوم، 20- الشيخ الاكبر سيدي محي الدين ابن العربي الحاتمي الاندلسي،21- الشيخ عبد الغني النابلسي، 22- الشيخ ابن الفارض سلطان العاشقين، 23- الامام ابو حنيفة النعمان.

والموضوع الوحيد الذي قارَبَهُ وبحَثَهُ سيدي قدور بن سليمان في رسالته" دُرَرْ الفَيْضْ اللَّدُنِي فِيمَا يَتَعَلقُ بالكَسْبْ العَيَانِي وَالسُنِي" هو موضوع الكسب، لكن ليس من منظور أهل الكلام والبرهان كما فعل الأشاعرة انما من منظور أهل الكشف والتصوف والعيان والعرفان.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

5- مفهوم "الكسب" عند سيدي قدور بن سليمان المستغانمي:

الكسبُ كما استنبطه واستقرأه سيدي قدور بن سليمان من تجربته الاجتهادية ومن مقررات السادة الصوفية، هو مَيَلاَنُ العبد إلى فعل شئ من الأشياء، مع التحقق أن أصل هذا الميلان الفعلي عند العبد هو صدوره عن سر معنوي إلهي، وهذا السر المعنوي هو من تجلي ومن تنجيز قدرة الله المقدسة، وعباد الله تعالى من أهل الصفاء والبقاء بالله والفناء فيه من المكاشفين المعاينين لجريان الأقدار بالخير والشر هم فقط من يعلمون هذا السر، أما أهل الحجاب والغفلة فلا يعلمون أصل هذا الفعل الكسبي أو مصدره، يقول سيدي قدور" والمفهوم من أقوالهم رضي الله عنهم أن الكسب المنسوب للعبد الثابت له بنحو قوله تعالى" لَهَا مَا كَسَبَتْ"، حَدُهُ هو مَيلُ العبد للفعل ميلانا شيئا عن سر معنوي لله، عندما يبرز الفعل عن تنجيز القدرة مصاحبا لذلك الميل مع غفلة العبد وحجابه عن سر باطن ما برز من الفعل مصحوبا لكسبه إن كان العبد من أهل الحجاب، ومفهومه إنْ كَانَ من غير المحجوبين بأن كان على قدم الكشف وكان يعاين ما يجري عليه من الأقدار بالخير والشر، أي كان من أهل البقاء بالله بعد الفناء فيه، فيكون على بصيرة عكس ما كان عليه في البقاء الأول قبل الفناء مع نفسه" (مخطوط دُرَرْ الفَيْضْ اللَّدُنِي،الصفحة22 السطر4)

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

ويُنبه سيدي قدور أنَّ المتكلمين من أصحاب العقل والبرهان قد احتاروا وعجزوا في الوقوف على حقيقة الكسب وأصله فيقول" ومن هنا اختلفت عبارات المتكلمين فيه من أهل البرهان وكذلك أهل العيان ولم يأتوا بما يزيل الحيرة قطعا، بل اتوا بما دفعوا به شبهة مذهب الجبرية الفاسد، وما دفعوا به فساد عقيدة أهل الاعتزال المثبتين للكسب التأثير استقلالا" (مخطوط دُرَرْ الفَيْضْ اللَّدُنِي،الصفحة22 السطر4)، وهذا ما أكدَّهُ وتحقق به المتكلم الامام الرازي نفسه بعد أن أورد إشكالات على كسب الأشعري" وعند هذا التحقيق يظهر أن الكسب اسم بلا مسمى" (فخر الدين الرازي، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين).

وينقل سيدي قدور اجماع اهل السنة على الإعتقاد بالكسب فيقول" واتفق أهل السنة على أنَّ العبد وكسبه وعمله مخلوقون لله" (مخطوط دُرَرْ الفَيْضْ اللَّدُنِي،الصفحة22 السطر4).

ويشرح سيدي قدور بن سليمان تفاصيل أصل القدرة الكسبية والإكتسابية عند العبد، ويُبين أن أصلها هو العلم الالهي، فلما يريد الله تخصيص الارادة لتتجلى في أفعال بعض عباده كسبا، فتتعلق القدرة الالهية التنجيزية فتظهر عند العبد في هيئة نسبة فعل كسبي في الظاهر، منفية عنه في الباطن، يقول سيدي قدور" فإذا بَرزَ شئ من حضرة العلم عن تخصيص إرادة الله، وتعلقت القدرة بتنجيز، تكون لها قوة من حالها الرباني التي انصبغت به من صفة القدرة والسمع والبصر، وتكاشف ذلك من غيب لغيب، فتقارن بميلها ما يصدر عن تنجيز القدرة الأزلية، والحق تبارك

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

وتعالى كريمٌ، والكريم إذا أعطى شيئا لا يرجع فيه، فتكون هناك نسبة للعبد ظاهرا ولقدرته الكسبية وجود ونسبة، كالقلم بيد الكاتب فهو موجود ظاهرا، والمداد سِرُّه باطنا والكاتب يكتب به فلا يمكننا ننفوا عنه العمل ظاهرا، كما لا نثبته له باطنا، ومن هنا قال بعض أهل السنة، للقدرة الكسبية تأثير لكنه بإذن الله تخليصا من الجبر، وتخليصا من مذهب الإعتزال القائلين بتأثير الكسب استقلالا" (مخطوط دُرَرْ الفَيْضْ اللَّدُنِي،الصفحة22 السطر4).

ويربطُ سيدي قدور بن سليمان فهم حقيقة الكسب بشرطية الفناء في الله مطلقا فيقول" أما الوصولُ إلى حقيقة ذلك قبل الفناء التام والبقاء التام فهو مُمتنعٌ، لا يصلُ إليه ذو برهان، هيهات هيهات" (مخطوط دُرَرْ الفَيْضْ اللَّدُنِي،الصفحة22 السطر4) ، والوصول إلى الوقوف على حقيقة الكسب عند سيدي قدور مرهونٌ بتزكية النفوس وجلاء القلوب واستجلاء البصائر يقول "ومن أراد الوصول إلى معنى ذلك حقيقة، فليعمل على جلاء قلبه حتى يزول رانه وتنفتح عين بصيرته، فيرى الحق حقا ويخرج من ربقة التقليد" (مخطوط دُرَرْ الفَيْضْ اللَّدُنِي،الصفحة22 السطر4).

كما يجعل سيدي قدور حقيقة الكسب ترجع إلى عالم القدرة الملكوتي الباطني، الذي يتحقق به أهل الباطن من أصحاب الفناء والبقاء التام في الله يقول" صاحب الفناء والبقاء المذكور أولا، وهذا هو الذي له الإطلاع على حقيقة الكسب الباطني الملكوتي، الذي هو من عالم القدرة تحقيقا مقدسا عن العبارة، بل وربما لا

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

يقبل حتى الرمز والإشارة " (مخطوط دُرَرْ الفَيْضْ اللَّدُنِي،الصفحة22 السطر4)، كما يشير سيدي قدور أنَّ التعبير على حقيقة الكسب بالعبارات والكلام متعذرٌ فيقول" وكذلك من صَحَّ له الفناء في الله والبقاء به، بقاءٌ لا علة فيه ولا يمكنه أن يحسن العبارة الخالصة عن الحيرة في الكسب، لأن حقيقة الكسب باطنا أمرٌ ملكوتي من عالم القدرة" (مخطوط دُرَرْ الفَيْضْ اللَّدُنِي،الصفحة22 السطر4).

ويُفَّصل سيدي قدور بأنَّ حقيقة الكسب وسره الباطني هي في تعلق وتخلق تحقق الصوفي العارف بالأسماء الالهية وفهمه لحقيقة الروح، بحيث بعد الفناء والبقاء يصير هو روحا للكائنات ومِرآة للأسماء الحسنى تتجلي فيه أسرارها في الوجود، تحليا وتخليا وتجليا بمقام التقرب العبدي لله، المشار إليه في الحديث القدسي "ما زالَ عَبدي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوافِلِ حتى أُحِبَّهُ، فإذا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يسمعُ بهِ، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ بهِ، ويَدَهُ التي يَبْطِشُ بِها، ورِجْلَهُ التي يَمْشِي بِها، وإنْ سألَنِي لأُعْطِيَنَّهُ" (صحيح البخاري، 1407هـ-1987م)، فيصير العبد صورة للحب الالهي ويكون الله تعالى سمع هذا العبد وبصره ويده ورجله، بل ويصبح فعل هذا العبد هو فعل الحق وكسبه هو كسب الحق، يقول سيدي قدور" ومن تحقق بمعاني ما ذُكِرَ كشفا ومعاينة ورجع لحقيقة روحه وسبح في بحار معارفها صار روحا للكائنات، وأسماؤها أسماؤُهُ وصفاتها صفاته، وفي الحقيقة كل ذلك من مستخلفه، وهو في ذلك بحسب النيابة من مستخلفه، فتجلت جمالات صفات الحق في مِرآة سره، ومن جملة صفات الحق تبارك وتعالى القدرة والإرادة والسمع والبصر الخ،

وتجلت أسرار هذه الصفات من مِرآة سر الخليفة ساطعة في جميع أجزاء الكون، فالخليفة له التمكن من أسرار هذه الصفات، وله أسرار خواصها من الانكشاف والتأثير بقوة أسرار ما له من جمال الصفات، ومنه للكون كذلك نفحاتٌ من هذا الميدان، ومن هنا قيل أنَّ الكائنات في المعرفة بالله على قدر ما ينتهى اليه العارف دون رتبة الخلافة فافهم هنا معنى الكسب وسر باطنه رحمك الله" (مخطوط دُرَرْ الفَيْضْ اللَّدُنِي،الصفحة22 السطر4).

ويدافع سيدي قدور عن الأشاعرة القائلين بالكسب فيقول" وهذا كلام سيدي الملا ابراهيم العجمي ناقلا من رسالة شيخه القشاشي رضي الله عنه، والسر في قوله بإذن الله أي بتمكين الله واقداره وكلامه هذا سالم من الجبر ومن مذهب المعتزلة قبحهم الله، وأما الشيخ الأشعري والتفتزاني ومن وافقهما رضي الله عنهم فإنهم قالوا بالقدرة الكسبية والكسب، ونفوا عنها التأثير" (مخطوط دُرَرْ الفَيْضْ اللَّدُنِي،الصفحة22 السطر4)، كما يُرافع سيدي قدور عن الأشاعرة مُبيّنا أنَّ في كلام علماء المذهب الأشعري: " ما يدفع مذهب الجبرية قطعا، لأن الجبرية قبحهم الله ذهبوا إلى أنه ليس للعبد قدرة حادثة تقارن الفعل أصلا، بل هو مفعول به لا مدخل له في الفعل البتة، كالميت بين يدي غاسله هـ وكذلك كلامهم هذا يدفع عقيدة القدرية مجوس هذه الأمة القائلين بتأثير القدرة الكسبية استقلالا فخرج بين ذم مذهب الجبرية وفرث مذهب القدرية مذهب أهل السنة لبنا خالصا سائغا للشاربين، لكن مذهب التفتزاني والأشعري رضي الله عنهم راجعٌ للتأويل، وكلام الشيخ القشاشي

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

رضي الله عنه صريح بلا تأويل وكلا المذهبين صحيح مرضى، ومن اعتقدهما سُنيٌ سالمُ العقيدة" (مخطوط دُرَرْ الفَيْضْ اللَّدُنِي،الصفحة22 السطر4)، لكن سيدي قدور بن سليمان يشترط لفهم حقيقة الكسب التسليك والتربية الروحية والترقي في مقامات التزكية" ومن أراد الوصول إلى معنى ذلك حقيقة، فليعمل على جلاء قلبه حتى يزول رانه وتنفتح عين بصيرته، فيرى الحق حقا ويخرج من ربقة التقليد" (مخطوط دُرَرْ الفَيْضْ اللَّدُنِي،الصفحة22 السطر4).

وفي مسألة الكسب يُفرق سيدي قدور بين الجبري و بين الصوفي، مبررا اعتقاد الصوفية في ذلك فيقول" انَّ السائر إذا حصلَ لهُ الفناء في الأفعال وهو التحقيق والنهاية، فيرى الخلق أمواتا لا عمل ولا كسب لهم، فيوافق بذلك قول الجبرية، لكن ليس عليه من الوعيد ما على الجبرية لأنهم ضيعوا الشريعة في حال صحوهم فباءوا بسخط من ربهم، كما قال القوم من ضيع الشريعة في حال صحوه فقد باء بسخط من ربه، وأما المحقق المأخوذ في حال الفناء في الأفعال فهو في نفس الأمر معذورٌ كما قالوا رضي الله عنهم "وقد رفع التكليف في سكرنا عنا" (مخطوط دُرَرْ الفَيْضْ اللَّدُنِي،الصفحة22 السطر4).

6- خاتمة:

أ- "الكسبُ" في مفهوم سيدي قدور بن سليمان هو مَيلُ العبد للفعل عن سر معنوي لله تعالى.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

ب- "الكسبُ" من حيث الباطن هو أمرٌ ملكوتي من عالم القدرة الالهية.

ت- فهم حقيقة "الكسب" عند سيدي قدور بن سليمان المستغانمي الجزائري مشـروطٌ بالتسليك والتربية الروحية والترقي في مقامات التزكية الصوفية.

المصادروالمراجع:

1- مخطوط "دُرَرْ الفَيْضْ اللَّدُنِي فِيمَا يَتَعَلقُ بالكَسْبْ العَيَانِي وَالسُنِي"، نسخهُ الشيخ عبد القادر المدعو أبو عبد الله شراك بن الحاج عابد بن الحاج عدة بن الحاج عبد القادر بن عدة المعروف بقرية جديوية ولاية غليزان الجزائر، الامام بمسجد الشريفية بمدينة وهران، المنسوخ بتاريخ يوم السبت7رجب عام 1423هـ الموافق13سبتمبر2002م.

2- أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فوفتانة الشرقية في الجزائر، سنة 1324هـ - 1906م.

3- أبو القاسم سعد الله (المتوفى1435هـ)، تاريخ الجزائر الثقافي، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1998م.

4- الامام البخاري، صحيح البخاري المسمى بـ الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا (أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة دمشق) ، الناشر: دار ابن كثير،اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة،1407هـ-1987م.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

5- الامام فخر الدين الرازي، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، طبعة مكتبة الكليات الأزهرية للتراث.

6- القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (المتوفى: 403 هـ) ، كتاب: التقريب والإرشاد، المحقق: د. عبد الحميد بن علي أبو زنيد الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الثانية، 1418 هـ - 1998م.

7- الإمام أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي التلمساني الجزائري:" الكسب مقارنة القدرة الحادثة للفعل من غير تأثير"، انظر كتاب أم البراهين، وشرحها لتلميذه العلامة محمد بن عمر بن إبراهيم الملاّلي التلمساني، تحقيق: د. خالد زهري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت،2009م، الطبعة الثانية.

صورة عن الصفحة الأولى من مخطوط

"دُرَرْالفَيْضْ اللَّدُني فيمَا يَتَعَلقُ بالكَسْبْ العَيَاني وَالسُني".

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

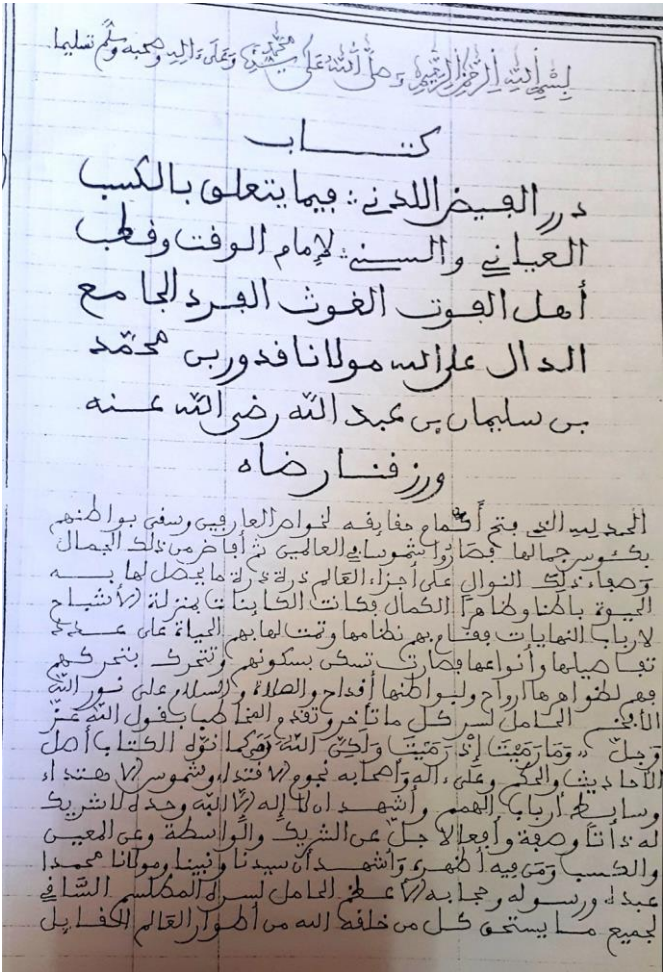

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

كتاب

درر الغيص اللدني فيما يتعلق بالكسب العيلني والسنن لإمام الوقت وقطب أهل البيوت الغوث الفرد الجامع الدال على الله مولانا فدور بن محمد بن سليمان بن عبد الله رضي الله عنه ورزقنا رضاه

الحمد لله الذي بتج أكمام معارفه لنوام العارفين وسقى بوادي منهم بكؤس جمالها فصاروا شموسا في العالمين ثم أبان من ذلك الجمال وضياء ذلك النوال على أجزاء العالم درك ما يصل لها به الحيوة بالمنا ولها من الكمال فكانت الكائنات بمنزلة الأشباح لأرباب النهايات فقام بهم نظامها وتمت لهم بها الحياة على عدد تفاصيلها وأنواعها فصارت تسكن بسكونهم وتتحرك بتحركهم فهم لطواهرها أرواح ولبواطنها أفداح والصلاة والسلام على نور الله الأبهى العامل لسر كل ما تأخر وتقدم والقائل بقول الله عز وجل "وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى" كما أنزله الكتاب أصل الأحاديث والحكم وعلى آله وأصحابه نجوم الاقتداء وشموس الاهتداء وسائط أرباب الهمم وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة وصفة وأبعد الأجل عن الشريك والواسطة وعن المعين والكسب ومن فيه أكثري وأشهد أن سيدنا ونبينا ومولانا محمدا عبده ورسوله وحبيبه العظيم العامل لسر الله المكلم الشافي لجميع ما يستحق كل من خلقه الله من أطوار العالم الكفايل